المقتبس

غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢٤

صدور المشارقة والمغاربة

كولريج

١٧٧٢ — ١٨٣٤

الغالب ان الشعراء في كل أمة يتقلبون مع الاهواء فلا يثبتون على حال في مناحيهم ومنازعهم. ومن يعشق الخيال ويهيم بالطبيعة فيخاطب السماك والاسماك، ويهيم بنجوم الارض كما يهيم بنجوم السماء، لا بدأن يقلبه الدهر كل مقلب، وتختلف عليه الاطوار والادوار كاختلاف الطبيعة بين صيف وشتاء وليل ونهار. وصاحب الترجمة ماخرج عن هذا الخلق وخروج الشاعر عنه يعدُّ من الغرائب ولا عبرة بالشذوذ. هو من شعراء الانكليز وفلاسفتهم رُبي يتيماً منذ نعومة أظفاره فبعث به أهله الى مدرسة متوسطة في لندن امتاز فيها بأخلاقه الساكنة وشعوره اللطيف وذوقه العجيب في علوم ماوراء

الطبيعة والفلسفة . دخل كلية كمبردج وغادرها بعد سنتين وبعد ان انضم الى سلك عصابة من سرية الدراغون سعى بعض أصحابه فاخرجوه منه

سافر الى مدينة برستول لاول أمره فاتحد وشاعرين شابين مثله (روبرت لوفل وسوتني) وزعموا انهم يريدون ان ينشئوا في ايلينوا من بلاد أميركا مستعمرة تكون أنموذج المستعمرات تحكمها قاعدة المساواة المطلقة والفضائل الاجتماعية كافة بيد انهم ماعتموا ان عشقوا ثلاث اخوات فتزوجوا بهن وعدلوا عن أفكارهم الخيالية وجمهوريتهم الكمالية وتفرقوا تحت كل كوكب فراح صاحب الترجمة يؤازر في إحدى الصحف الحرة بلندن موجهاً أبداً كلامه الى الامة ولذا حازت مقالاته اقبالا . ثم كتب رواية وكان نشر من قبل ديواناً من شعره وانشأ جريدة سياسية أسبوعية لم يصدر منها غير عشرة أعداد فذهب تعبه فيها سدى .

ثم عزفت نفسه عن السياسة واعتزل في احدى بقاع سويرستهير الجميلة وأخذ ينظم فيها أشعاره ويخلد لهذه المدرة بأقواله ذكراً لا يحمى على الدهر وانكب على العمل والدرس ايما انكباب وهناك الف أحسن قصائده الموشحات فنجحت كثيراً ولكنها لم تأته بربح يذكر . وزار المانيا وتمكن من إحكام آداب الالمانية ثم تقلبت به الاحوال فاعتزل واحد صاحبيه الاثنين المشار اليهما مدة ولم يلبث ان عاود المسائل السياسية والدينية فاصبح ملكياً وداعية الى التثليث على ما كان يميل اليه من الحرية المفرطة

تخلى عن الشعر منذ ذاك العهد وانشأ ينشيء في جريدة مورننج پوست مقالات يجادل بها خصومه أشد جدال في معنى الثورة مما دل على فكر متقلقل يذهب مذاهب الخيال بحسب الاحوال . وسعى أحد أصدقائه فانقذه من

تعادلي الازمون تلك العادة الخبيثة الشائعة في الشرق فخاصه بذلك من الجنون وجاءت المنية على الاثر فاختطفته دون ان يتم أعماله العلمية فعهد الى زوجه ان تنشرها بعده .

وكان نفوذ هذا الشاعر الحكيم قوياً في انكلترا لما عرف به من حب الحكمة وأثر عنه من الكتابات الدينية وجاء من حيث شعره مبشراً بالشاعر بيرون ومملياً على قلبه وروحه فقد استظهر بيرون قطعة صالحة من قصائده كانت له عوناً على الرسوخ في ملكة الشعر . يقول كتاب التراجم الناقدون لو كتب لكولريج ان يتخلى عن الدينيات والسياسيات لجاء منه اعظم شعراء عصره وكان احد الاحدين غير مدافع وذلك لما خص به من الاقتدار العقلي وسعة التعبير ولطف الاداء . قالوا وكان حديثه مطرباً في الغاية حتى ان احدى الحانات الغنية في لندن كانت تنقده مبلغا جسيما من المال ليحضر اليها ويتسامر وبعض المختلفين اليها . وشبهوا اعماله العلمية بقصر ناقص ترى كل ما فيه هائلا جميلا فخيما ولكن لا تشهد فيه شيئاً قد تم على أصله . وسبب ذلك تلونه في مشربه ومذهبه . والثبات على مبدإ من أقوى عوامل الانتفاع بالرجال .

بلغت بغداد في الحضارة أعلى درجاتها إبان التمدن الاسلامي وكانت عاصمة العلم ومبعث أشعة الحكمة حتى في عصور تدنيها أيام ضعفت سياستها وأصبح حكم العباسيين فيها اسمياً ولم تبرح تنفخ فيها روح النمو والرقي التي بثها فيها خلفاء القرن الثاني والثالث فكان العادة أو قوة الاستمرار حكمت ان لا يكون القرن الرابع والخامس والسادس والسابع دون ذينك القرنين الا قليلا . وظلت هذه العاصمة على علاتها أرقى من قرطبة والقيروان ومصر ودمشق وسمرقند وخراسان وغيرها من أمصار الحضارة وقواعد العمل على ما بذل زعماء تلك العواصم من العناية في مضاهاة دار السلام وقبة الاسلام .

ولقد كانت المدارس احدى العوامل الكبرى في ذلك الترقي ويكاد الفضل يرجع الى بغداد في إحداثها على هذا الطرز المألوف وان بقيت الامة زمناً تتلقى علوم الدنيا والدين في حلقات المساجد والجامع الخاصة . ولقد استاء علماء ماوراء النهر لما بلغهم توفر الخلفاء على بناء المدارس في بغداد واقاموا للعلم مأتماً تفادياً من ابتذاله وخشية ان تصبح الغاية من الدراسة دنيوية محضة غايتها جر مغنم واجتلاب دنيا عريضة واسفوا ان رأوا بعض رجال العلم أخذوا يتناولون رواتب لقاء دروس ينفعون بها الامة وكانوا وأجدادهم من قبل يلقونها بلا عوض ولا عرض ينالونه

وكأن الله خص القرن الرابع بأن قامت فيه أعظم كليات المسلمين اليوم الا وهو الازهر في القاهرة الذي بناه القائد جوهر كما خص القرن الخامس

بأن وفق نظام الملك وزير السلاجقة لتأسيس المدرسة النظامية سنة ٤٥٩ هـ ببغداد ووفق المستنصر بالله العباسي أيضاً ان أسس مدرسته المستنصرية في أوائل القرن السابع ببغداد . ولما كانت النظامية والمستنصرية عامرتين بضروب العلم غاصتين بالطلاب والاساتذة لم يكن الازهر يذكر في جنبهما . ولكن دالت الايام ودرست معالم هاتين الكليتين العظيمتين وكتب البقاء لهذه المدرسة المصرية . ولذلك أحصر الكلام فيها الآن فاقول :

أسس نظام الملك مدرسته النظامية وسط الجانب الشرقي من دجلة وقسمها الى مقاصير كثيرة خص كل فرع من فروع العلوم الدينية والدنيوية ببعضها وجعل فيها غرفاً كثيرة يأوي اليها الطلبة والاساتذة هذا عدا ما هناك من ابهاء ومنتديات وقاعات وبستان فسيح ومصلى واماكن للاستراحة وجميع ما يلزم لدار علم مثلها من سائر مرافق الحياة كالمطبخ والحمام وغيرهما وكانت فيها خزانة كتب عظيمة كما في غيرها من المدارس الكبرى مسبلة على العالمين والمتعلمين فيها . وبنيت طبقتين وأقيمت في أطرافها اروقة وطاقات وجعلت فيها أنابير ومستودعات فيها كل حاجيات أهلها من طعام ولباس وفراش وكان المعلمون كالمتعلمين يكفون المؤونة فيها فينال كل واحد من أوقافها الدارة ما يسد به عوزه وربما ما يفيض عن حاجته

وليس فيما لدي من المواد شيء يصح الاستنباط منه لاصدار حكم صحيح على نظام الدروس والمدرسين والدارسين في تلك المدرسة وناهيك بانه كان لها مفت يفتي أهلها في مصالحها على ما هناك من أساتذة هم فخر الاسلام والمسلمين في أعصارهم فقد كان الشيخ رضي الدين أبو داود سليمان بن المظفر بن غانم بن عبد الكريم الجيلي الشافعي مفتياً فيها . كما

درس فيها جلة مثل أبي اسحق الشيرازي وأبي نصر بن الصباغ وحجة الاسلام أبي حامد الغزالي وأخيه أبي الفتوح أحمد وأبي الفتح بن برهان وأبي القاسم الدبوسي وأبي عبد الله الطبري وأبي محمد الشيرازي وضياء الدين السهروردي وأبي القاسم القشيري وأبي منصور الوزان وأبي الفتح أسعد المهيني وأبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله شيخ العراق في وقته وأبو سعيد المتولي وكمال الدين النحوي وفخر الاسلام أبو بكر المستظهري وأبو بكر بن الدهان النحوي الضرير والشرف يوسف بن بندار الدمشقي وعشرات غيرهم ممن تخرج بهم مئات من الفقهاء والمحدثين والاصوليين والمتكلمين والمتأدبين وغيرهم.

وشقيقة هذه المدرسة بل خليفتها المدرسة المستنصرية بناها سنة ٦٣١ المستنصر بالله في الرصافة على ضفة دجلة الشرقية وانفق في بنائها ما ينفقه الملوك في بناء اذا أرادوا به تخليد ذكرهم وأحياء مفاخرهم . وجعل فيها خزانة كتب حملت من الآفاق حملها مائة وستون حمالا وفي روايه بعض المؤرخين انها كانت مائتين وتسعين حملا عدا ما أضيف اليها بعد . قال الذهبي وأوقاف هذه المدرسة عظيمة غلت في بعض السنين سبعين الف دينار قيل ان قيمة ماوقف عليها يساوي الف الف دينار . وقد جعلت على المذاهب الاربعة وأقيم فيها مستشفى وأطباء يدرسون الطب كما يدرس فيها علم الحيوان والنبات والفلك والرياضيات على اختلاف ضروبها والآداب على أنواعها والجغرافية والتاريخ وعلوم الحديث والقرآن

وشرط بانيها أن يكون عدد الفقهاء فيها مائتين وثمانية وأربعين فقيهاً يصيب أهل كل مذهب ربع هذا العدد يأخذون رواتب وجرايات كثيرة هذا ماعدا المحدثين والمقرئين ومشاهراتهم وعدا كتاب متصل بالمدرسة

خص بثلاثين يتيماً يستظهرون فيه الكتاب العزيز ويكفون المؤونة وعدا المدرسة الطبية والمستشفى والصيدلية التي يدرس فيها الدارسون ويستشفى بها المرضى ويأخذون ما يقتضي لهم من المعاجين والادوية

وأول من عهد اليه التدريس في تلك الكلية محيي الدين أبو عبد الله ابن فضلان الشافعي ورشيد الدين أبو جعفر الفرغاني الحنفي والنيابة عنهما جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي الحنبلي وابو الحسن المغربي المالكي واشتهر من مدرسيها جمال الدين العاقولي . ووصف هذه المدرسة العالم محمود شكري الآلوسي في كتابه مساجد بغداد ومدارسها فقال انه كان فيها مزملة للماء البارد وان الداخل اليها اليوم من بابها الكبير الجنوبي يرى فسحة طولها نحو مئة متر وعرضها نصف ذلك وفي كل جهة منها ايوان رفيع السمك كأنه أعد كل واحد منها لمدرس من المذاهب الاربعة وان الموظفين بها كانوا أقل من المشتغلين فانهم في كل وقت كانوا دون الفي طالب على اختلاف طبقاتهم واستعدادهم وأما الموظفون فهم دون الالف وكانت التفرقة بين الاصناف والطبقات بالوان الطيالس فذوو الطيالسة الصفر صنف والبيض صنف والحمر صنف وهكذا . وكان في بابها ساعة عجيبة

هذا ملخص ما كانت عليه النظامية والمستنصرية من الاتقان العجيب ولم يبق للأولى من أثر اليوم غير قاعدة منارتها وهي مطبخ أحد الاسرائيليين وبقيت الثانية محفوظة من أيدي التخريب الا قليلا بيدانها حولت الى ادارة جمرك منذ بضع سنين وذهبت تلك الحضارة وما يتبعها جملة وراحت النظامية ولم نعد نسمع الا باخبارها وربما تتبعها المستنصرية تلك المدرسة التي بلغ من غرام بانيها بها كما قال ابن العبري انه بنى بجانبها بستاناً

خاصاً له وقلما يمضي يوم الا ويركب في السيارة ويأتي البستان يتنزه فيه ويقرب من شباك مفتح في ايوان المدرسة ينظر الى البستان وعليه ستر فيجلس وراء الستر وينظر الى المدرسة ويشاهد أحوالها وأحوال الفقهاء ويشرف عليهم ويتفقد أحوالهم . فليت المستنصر بحيا اليوم فيرى مافعلت الايام بما شاده وشاده نظام الملك

البابليون

المملكة الكلدانية — قامت مملكة اشورية جديدة مكان بلاد الكلدان القديمة الدائرة دعيت مملكة البابليين او المملكة الكلدانية الثانية . وقد تكلم احد انبياء اسرائيل على لسان الرب فقال : « انا احيي الكلدان تلك الامة الظالمة والسريعان ماتطوف الارض للاستيلاء على مساكن غيرها وان خيولها لا خف سيراً من النمر وفرسانها لينشرون في الاطراف ويطيرون كالنسر ينقض على فنيصته » وبالجملة فقد ألف الكلدانيون الفروسية والحرب والفتح وهم يماثلون الاشوريين كل المماثلة فاستولوا على بلاد الفرس والجزيرة وبلاد اليهود وسورية وكانت مدة حكمهم قصيرة فقد أنشئت المملكة البابلية سنة ٦٢٥ وابادها الفرس سنة ٥٣٨ ق . م

بابل — كان بختنصر (٦٠٤ — ٥٦١) من اقدر ملوكها وهو الذي خرب بيت المقدس وساق اليهود أسرى واسس في بابل عاصمة بلاده كثيراً من المعابد والقصور . اقيمت هذه المعاهد بالآجر لقلة الحجر في سهل الفرات . ولما كتب عليها الدثور والعفاء لم يبق منها الا كوم من التراب والانقاض وقد عثر في المكان الذي كانت فيه بابل على بعض كتابات

فعرفت هيئة المدينة . بيد ان هيرودتس اليوناني وصف مدينة بابل وصفاً مسهباً وكان زارها في القرن الخامس ق .م فاذا هي محاطة بسور مربع يشقه الفرات وكانت المدينة تشغل حيزاً من الارض مساحته ٥١٣ كيلومتراً مربعاً (أي سبعة اضعاف مدينة باريز) ولم تكن كل هذه البقعة الفسيحة الارجاء عامرة بالدور والمساكن بل كان يتخللها حقول مزروعة تقوم باود السكان آونة الحصار . فكانت بابل من ثم اشبه بمعسكر حصين منها بمدينة . وفي جدرانها ابراج ولهامئة باب من النحاس الاصفر وكان سمكها صالحاً لمرور مركبة عليها وفي حيال السور خندق عريض عميق ملئ ماء وسترت حافاته بالقرمد . وكانت دورها ذات ثلاث طبقات او اربع والشوارع وسطها زوايا قائمة . وما اعجب بناء جسر الفرات وارصفته والقصر الحصين والجنان المعلقة احدى عجائب الدنيا السبع . وهذه الجنان سطوح مغروسة بالاشجار قائمة على عمد وقباب مصفوفة طبقات الاولى بعد الثانية .

برج بابل – بنى بختنصر في طرف المدينة برج بابل وقال في احدى كتاباته «لقد جددت اعجوبة بورسيبا (من ضواحي بابل) ليعجب الناس منها وهو معبد السيارات السبع في الدنيا فاعدت تأسيسه على النحو الذي كان عليه في الازمان السالفة» . وهذا المعبد على شكل مربع مؤلف من سبعة ابراج بعضها على بعض وخص كل برج باحدى السيارات السبع وصور باللون الذي أختاره الدين لتلك السيارة . وهذه الالوان اذا بدئ بها من أسفل فهي : زحل (سواد) والزهرة (بياض) والمشتري (ارجوان) وعطارد (ازرق) والمريخ (قرمزي) والقمر (فضي) والشمس (ذهبي) . وكان في أعلى الابراج مصلى ومنضدة من ذهب وفراش وثير تسكن اليه كاهنة .

اخلاقهم وديانتهم

اخلاقهم — لانعرف هذه الشعوب الا بمعاهدها ومعاهدها تكاد لاتتعدى اعمال ملوكها فلاترى الاشوريين أبداً الاوهم مصورون في حرب او في صيد او في احتفالات وما صور نساؤهم قط اذ كن حلس بيوتهن لايخرجن للناس . وعلى العكس في الكلدان فانهم كانوا أهل حراثة وتجارة ولكننا لانعرف شيئاً عن حياتهم . يقول هيرودتس ان هذه الامة كانت تجمع البنات في مدنها مرة واحدة في العام لتزويجهن فيبيعون الجميلات منهن ويؤخذ ثمنهن ليعطى جهازاً الى مشوهات الخلقة . قال وعندي ان هذا القانون من احكم ماوضع من القوانين والشرائع .

ديانتهم — دين هاتين الامتين واحد فالاشوريون تمذهبوا بمذهب الكلدانيين وقد التبس علينا هذا الدين لانه نشأ كدين الشعب الكلداني من مزيج ديانات متباينة مشوشه كلها . فكان التورانيون يعتقدون على نحو ماتوهمه قبائل سيبريا الصفر ان العالم غاص بالشياطين (مثل الطاعون والحمى والاشباح والعفاريت) دأبها تربص البشر بالشر والاخذ بمخنقهم ولذلك تراهم لايلجأون الى السحرة ليطردوا عنهم هاته الشياطين برقياتهم . وكان الكوشيون يعبدون ربين ذوي اقنومين الذكر وكان القوة بزعمهم والانثى وهي المادة وكان الكهنة الكلدان وهم مجموع طوائف قوية من المنعة بحيث ساغ لهم ان يعنوا بتوحيد الدينين .

الارباب — الرب المتعال هو ايلو في بابل واسور في اشور وقلما يقيمون له معبداً ومنه يشتق ثلاثة ارباب وهم آنو رب الظلمة وصورته صورة رجل وذنب نسر معصب رأسه برأس سمكة . وبعل ملك الارواح مصور

كالملك على عرشه . ونواح وهو العالم المنظور هيئته هيئة جبار ذي اربعة اجنحة منتشرة . ولكل من هذه الارباب ربة انثى اشارة الى كثرة الاولاد والذراري . ثم ترد من اسفل صور القمر والشمس والسيارات الخمس والكواكب وفي هواء بلاد الكلدان الشفاف بضيء سناها اضاءة لم نعهدها فتلألأ كالارباب . وقد اقام الكلدانيون معابدهم باسم هذه الارباب وما هي في الحقيقة الا مراصد يتمكن منها المتعبد من مراقبة سير الافلاك .

علم التنجيم — ذهب الكهنة الى ان هذه الكواكب ارباب عظيمة تعمل عملها في حياة الانسان . فكل امرئ يولد في الدنيا في طالع كوكب من الكواكب فيتأتى التنبوء بسعده اذا علم الكوكب الذي ولد في طالعه . ومن هنا نشأ علم التنجيم والفأل فما يحدث في السماء علامة على ما سيحدث على الارض . فالنجمة المذنبة مثلاً تنبئ بحدوث ثورة . ويعتقد كهنة الكلدانيين انهم اذا رصدوا القبة الزرقاء وسياراتها يتنبأون بالحوادث وهذا أصل التنجيم .

علم السحر — للكلدان ضروب من الرقى والطلسمات يدمدمون بها لطرد الارواح أو استحضارها . وهذه العادة من بقايا ديانة التورانيين وهي أصل السحر . نشأ علم السحر والتنجيم في بلاد الكلدانيين وانتشر في أفق المملكة الرومانية ثم تعداها الى بلاد أوربا . عرف ذلك من تتبع القوانين السحرية في القرن السادس عشر وكان فيها اذ ذاك كلمات أشورية محرفة .

العلوم — نشأت علوم النجوم في بلاد الكلدان فمنها عرفنا منطقة البروج وتألف الاسبوع من سبعة أيام اكراماً للسيارات السبع وتقسيم السنة الى اثني عشر شهراً واليوم الى أربعة وعشرين ساعة والساعة الى ستين

دقيقة والدقيقة الى ستين ثانية . زعمهم أخذنا طريقة الاوزان والمكاييل مضروبة على مقياس الطول مما ألف بالاستعمال عند الشعوب القديمة كافة

الصنائع

علم عقود الابنية — لا نعرف صنائع الكلدانيين حق معرفتها اذ قد سجل العفاء على معاهدهم . وقد حذا أهل الصنائع من الاشوريين ممن رأينا صنائعهم حذو الكلدانيين فصح الحكم على المملكتين جملة واحدة . كان الاشوريون يبنون كالكلدانيين بآجر مجفف بالشمس ويغشون ظواهر الابنية بالاحجار .

القصور — اقام الكلدانيون قصورهم على آكام صناعية جعلوها واطئة مسطحة تشبه سطوحاً كبيرة واقتضى جعل العلالي والغرف ضيقة واطئة واكتفي بتطويلها كثيراً لان الآجر لم يكن لينفع في بناء القباب المنبسطة العالية . فالقصر الاشوري يشبه سلسلة أروقة ودهاليز . والسقوف سطوح ممتدة ذات شرفات وفي الباب ثيران ضخمة مجنحة على هيئة الانسان . والجدران مغشاة من الداخل تارة بروافد من الخشب النفيس وطوراً من الآجر المزين بالمينا وأخرى بصفائح من الرخام الابيض المنقوش وآنات تزدان الغرف بالصور ويحلى الاثاث بالترصيع البديع

النقش — يعجب المرء من نقوش الصور الاشورية خاصة ومن المحقق ان التماثيل نادرة ولا اتقان فيها لان النحاتين يؤثرون نحت صفائح كبيرة من الرخام ونقوش ناتئة تشبه الصور ويرسمون مشاهد لانظام فيها احياناً وحروباً وصيوداً وحصارات مدن واحتفالات يخرج الملك بها في موكب حفل وهناك تتجلى التفاصيل الدقيقة . فترى بنات الخدام الموكلين بطعام

الملك وزمر العملة يدنون له بلاطه والحدائق والحقول والغدران والاسماك في الماء والطيور ترفرف على وكناتها أو تتطاير من شجرة الى أخرى . وترى صور الكبراء من جوانب وجوههم لان أهل الصناعة ما عرفوا تصويرهامن الامام .ولكنك تقرأ في سحناتهم الحياة والشرف . وتظهر الحيوانات في الاحايين وخصوصاً في الرسوم البارزة في الصيد وفي العادة أن تنقل نقلاحقيقياً مدهشاً .وكان الاشوريون يتأملون الطبيعة ويرسمونها أصح رسم وبهذا تعرف قيمة صنائعهم حتى ان اليونان اقتدوا بمذهبهم في الصنائع بان قلدوا النقوش الاشورية ففاقوا مقلديهم وليس في الامم حتى ولا اليونان أنفسهم من أحسنوا تصوير الحيوانات كالاشوريين

حسنات القرن الماضي وسيئاته

معربة عن الفرنسوية

من المعلوم ان حب البذخ قد وجد في كل عصر من عصور العالم وتواريخ الامم القديمة طافحة بالامثلة الكثيرة من ذلك ولكنه كان أبداً سبب الشقاء العام والخاص وتأثيره في هذه القرون الحديثة أدهى وأمر . فقد كان البذخ في القرون السالفة من شأن طبقات الاشراف الكبراء أما في القرن التاسع عشر فاصاب الطبقة الوسطى من الناس تلك الطبقة التي نالت ما نالت بفضل ما خولت من الامتيازات . وهذه الطبقة على كثرة عددها من أشد الطبقات قرباً من الطبقة السافلة وأكثرها بها اختلاطا ولذلك أصاب هذه أيضاً من ذاك المرض شدة ، وبرحت بها تباريح التفخل والتبرج . ومن الاسف ان آفة التظاهر باليسار ما زالت تتفاقم شرها ويعظم ضررها من حين الى آخر وهي من الجراحات الاجتماعية التي هاجت الطبقات الميسورة

والطبقات المعسورة معا. فقد اعتدنا ان تتخذ من الظل نوراً ومن الظواهر حقائق حتى تضطر الحقيقة ان تكتسي بين اظهرنا في الاحايين رداء أسوداً من الكذب للوصول الى الغاية تنشدها

وما دام العلم لم يعم سواد الشعوب وطبقة العملة لا تهديها المعارف الى وجه مصالحها الحقيقية فالميدان رحب لاهل المطامع ممن يستخدمون البذخ آلة لاضلال الرأي العام فيعمدون الى طرق غريبة في الكسب والانتفاع ومنها أشغال البورصة والمضاربات . وسرها قائم بالتأثير في أفكار الرجال بايجاد الثقة وعدمها في بعض الاحوال على حسب أغراضهم وهم يسيئون استعمال الثقة العامة باشاعات كاذبة يلفقونها ليغتنوا فيكونوا عالة على ما اقتصده الوف من البيوت المسكينة وأنت عارف بنتائج أشغال البورصة في الآداب العامة فان زيادة المالية على هذا النحو تضعف الاحساس وتصد الذكاء عن سننه وغايته الحقيقية وتقتل النشاط على العمل . ويسود أعظم نجاح باهر في الصناعات العادية في عيون أصحابها في جانب الوعود الخلابة التي يعدهم بها القائمون على هذه التجارة . ثم ان امثال هذه الثروات السريعة الحصول تنبه طمع من كانوا يقنعون من قبل بثمرات اعمالهم أو أملاكهم فيأخذهم دوار الريح فيتدهورون في هذه المضاربة المخطرة فيؤدي ذلك الى خراب ثروات عديدة وتجلب المصائب على أسرات كثيرة . وما ننس لا ننس الازمات المالية التي وقعت منذ ثلاثين سنة في فينا وبرلين وباريز ولندرا وحدث عنها أفلاس عظيم في الطبقات العالية والوسطى مما يثبت نتائج البورصة السيئة وما هي الا بنت البذخ والزهو الجنوني في عصرنا

ولقد حدت الحال بالامم ان ترقي درجة التعليم العام بداعي الجهاد

المستمر العظيم في معترك الحياة الحاضرة فأخذوا يملأون رؤوس التلامذة الذين يتأهلون للصناعات العلمية والادبية بأنواع المعارف فتضيق عن استيعابها ولا تقوى أجسادهم على تحمل ما ينهال عليها ويصرف من دقائقها فيصابون بأمراض طبيعية وعقلية وتضعف تراكيبهم عن تتميم وظائفها وتضطرب تغذيتهم والمساعدات على تراكيبهم النامية

والامم التي تزعم انها في مقدمة الحضارة والقيمة على أسبابها هي التي تجتهد كل الجهاد في هذا المعنى فتنفق النفقات الطائلة لتزيد في ترقية الشبان وإنارة عقولهم وزيادة عدد المدارس وتحسين مواد التعليم العالي والوسط والابتدائي . ولا يفوتنا النظر زيادة على ما ذكر من القوانين الفيسيولوجية (المختصة بوظائف الاعضاء) ان نفوذ القوى العقلية متوقف على كمية الاكسيجين التي يحملها الدم الى الدماغ وعلى الهواء الصافي الذي توفرت فيه مادة الاكسيجين يشاركهما على تحسين مجرى الرئة وهو السبب الضروري لسلامة الوظائف العقلية . فاذا بطل هذا الشرط وأضيف اليه تهييج القوى العصبية الناتج من شغل عقلي طويل وخصوصاً في بعض التراكيب والاعمار يضعف مجرى الدم ويؤدي بالتدريج الى الفقر الدموي الدماغي والى إنهاك القوة الفكرية ويبدأ ذلك بضعف الذاكرة وعدم الامكان في تحديق النظر في الموضوعات المهمة والشبان الذين يتعاطون العلم يصابون غالباً بسوس الاسنان وقد بثت لاحد أطباء برلين من احصاء خمس سنين ان ثمانين في المئة ممن تقدموا ليكونوا متطوعين في الجيش مدة سنة لم يكونوا صالحين للخدمة

والفتيات اللائي ينصرفن الى الاشغال العقلية يصبن أيضاً بما يصاب به الفتيان من ضعف الدم والامراض العصبية المختلفة وخصوصاً في سن

البلوغ لان حالة المجتمع الحديث أصبحت تقضي على الفتيات ان ينصرفن جملة الى الكد وإنهاك القوى للتغلب على رنق الحياة ومنهن من لا يجتهدن على هذا النحو الا مجاراة لرغائب والداتهن أو عملا بما يقتضيه التقليد . واذا كان معظمهن عائشات غالبا في المحال المزدحمة ولا تسمح لهن أحوالهن المالية بالعيش أبداً في احياء معرضة للهواء وبيوت توفرت فيها شروط الصحة على يابها فقد أسفر ذلك عن انقطاع الحواس التنفسية عن بلوغ حدها الاعلى من الانبعاث لقلة التمرين الوظائفي مما يؤدي الى بشاعة كثيرة ويفسد الاوضاع الجسدية ويفضي الى الحسر (ضعف البصر) وانحراف العمود الفقري الشائعين بين الفتيان والفتيات في خلال سن البلوغ

وقصارى القول فقد أحدث القرن التاسع عشر تأثيراً في اصلاح الخيرات المادية والادبية والعقلية في جميع طبقات المجتمع عامة وفي طبقات العملة خاصة فقلت قيمة ما احدث وكلفت فوائده أهل الاجيال الحاضرة والمستقبلة كثيراً اذ لم يترك في الوجود غير كثير من المسائل الاجتماعية دون ان يحلها . وسيبقى الجهاد أبداً قائماً على ساق وقدم بين نصراء الطريقة القديمة والمجاهدين لتحقيق نياتهم في الارتقاء الحديث . بين رأس المال والعمل . بين حقوق المجموع وحقوق الافراد .

ومن الاسف انا لانزال في دور التجارب وإنا لنتطال الى بلوغ عقل الانسان مرتبة الكمال وهذا لايتأتى إلا بالانفاق من سائر التركيب النامي الذي يضعف فيعمل على الدماغ فتختلف الاضطرابات باختلاف القوى العصبية والاشغال العقلية والجنس والسن . وافراط الشبان في الاشغال العقلية مضافاً الى الاستكثار من ضروب الشهوات في سن الوجولية هو

الداعي عند بعضهم الى استنزاف مادة القوى ونفوذها العقلي ويؤثر في بعضهم من الجهاد في الحياة ومن مختلف ضروب الاطماع في نيل المراتب والمناصب الاجتماعية ويكون سببها عند بعضهم بذل قوى الافراد الطبيعية والادبية باضعاف التركيب النامي بالاضطرابات والهيجان من كل ضرب .

والحق يقال ان الانسان قد تعلم بفضل ارتقاء الحضارة الحديثة طرق الوقاية من كثير من الامراض بالعمل بالقوانين الفيسيولوجية أي بواسطة الاسباب الصحية في اعمال الحياة الخاصة والعامة . ولا يفوتنا ان تلك القواعد كانت في الازمان الغابرة مجهولة فكان الضعفاء عرضة للهلاك بداعي قلة أسباب مدافعة العناصر العادية التي تتربص بهم الدوائر على حين فاز الاقوياء بما ارادوا من المنعة والوقاية وحيوا حياة طيبة عمروا فيها الى ان تمتعوا باولاد وبنين . هذا وقد توفرت اليوم دور الصحة للفقراء ومستشفيات السل والمصاح والملاجئ والبيمارستانات لليتامى والعميان والصم البكم والمعتوهين والبله . وبالجملة فان المجتمع يؤوي في حجره الفقراء والمرضى والبله والضعفاء وكل من أعوزتهم القوة وخانتهم أسباب الجهاد . وقد صار من لم يعيشوا من قبل الا أياماً في حالة حسنة يعيشون معها ويكبرون ويتبسطون في هذه البيئة الصناعية كالنبات يعيش في بيت من الزجاج بمأمن من الاحداث الجوية وربما ولدوا أولاداً ضعافاً مثلهم وإن كانوا على جانب من الذكاء ولكنهم حرموا من الحدة الطبيعية واحتاجوا للوسائط الصناعية لينجحوا وقد ورثوا الاجيال اللاحقة تلك المفسدات العضوية التي لا تؤهلهم لبلوغ الاجل الاوسط من الحياة البشرية أو تعدهم للامراض المهلكة التي تشتد وطأتها على الجنس الانساني وخصوصاً في مراكز السكان الكبرى .

وغير خاف ان نماء التجارة والصناعة في النصف الاخير من هذا القرن لم ينشأ عنه فساد هواء المدن بازدحام الناس في انحائها وبما ينبعث من قاذوراتهم وعفنهم بل قد نتج منه شقاء الطبقة النازلة وانتشار الفجور والفساد والجرائم . وما من أحد يجهل ان السوقه في المدن الكبرى يحتالون أبداً للانتفاع من المفاسد البشرية واماكن اللهو مثل محال القهوة والمجتمعات ودور اللعب والحانات والمواخير حيث ينفق بعضهم في اللعب ما اقتصده آخرون ينفقونه في معاقرة المشروبات الروحية وفريق منهم يأتون في ناديهم المنكر وهم لا يتناهون . وانت ترى بهذا ان حياة العيال المحبوبة آخذة بالضعف من حين الى آخر كما ان التعلق بالبؤرة (المسكن) الاهلية آخذ بالفتور والانحلال . ولم تحدث محال القهوة والمجتمعات العامة الا لضرورة اجتماعية ولتكون معهداً يختلف اليه التاجر والاديب في الاحايين وينتابه العامل في آونة عطلته . وقد استعيض عن الاخلاق والصلات البسيطة التي عهدت في الازمان السالفة بغيرها من الاخلاق والعادات ولكنها نكدة مخالفة للطبيعة واجدر بها ان تكون مكسوة بالطلاء اللامع من الظواهر من ان تكون لها حقيقة لا شائبة فيها .

حكم منتخبة من روايات شكسبير

« بارك الله في من يجملون خيراً من الشر واصدقاء من الاعداء »

« الفاضل جسور والصالح لايكون جباناً البتة »

« كثيراً مانقض مانصمم عليه فما القصد الاَّ عبد الذاكرة »

« في مصائب الزمان امتحان ثابت للرجال »

« لايمكن ان نكون كلنا سادة ولا يمكن ان يطاع كل السادات طاعةً صادقة » (اذا اردت ان تطاع فسل مايستطاع)

« أنق كنزٍ يأتي به هذا الدهر الزائل هو الصيت النقيُّ فاذا فقد لايكون الانسان الا تراباً مطلياً بالذهب او طيناً مصبوغاً »

« الجبان يموت مرات كثيرة قبل ان يأتيه الموت واما الباسل فلا يذوق الموت الا مرة واحدة »

(واذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجزان تموت جبانا)

« مما أوقن به انه ليس للانسان ان يقنط بتة بل عليه ان يجد وراء خير الامور رغم مايعارضه من اصعب الصعاب »

« ما الحياة حتى نئن ولم هذا الضجيج »

« هل اصابني جنون حتى ارثي في نفسي ما ليس له من الثمر الا المر واني لأقلعنه من صدري ولو تأصل في قلبي »

« الرجل الشريف يوثق به ثقةً تامة »

« قيل ان الحبَّ طفل لانه كثيراً ما يخدع في ما ينتخبه »

« لايحتاج الحق الى التلوين لان لونه ثابت ولا يحتاج الجمال الى زينة الطلاء فان الاحسن هو الاحسن بلا مزج اصلاً »

« كن عظيماً في الايمان وقوياً في الصبر على صروف الزمان »

« اذا كنت أميناً يقاومك الأراذل باجمعهم »

« اذا كانت الأكذوبة محضة فمقابلتها ومقاومتها أمر سهل ولكن اذا كان فيها شيء من الصدق فقتالها عسر »

« للذة والنقمة آذان صماء لاتسمع الحكم الصحيح »

« الغلبة غلبتان اذا رجع الغالب وعدد جيشه وافر »

« الموت أمر حقير ولكنه يفني ويل الحياة »

« ما الخير والشر إلا مايظنه الانسان خيراً أو شراً »

« اذا لم نستفد من مجرى الزمان ذهبت مساعينا ضياعا »

« يفوقنا أولادنا بحذقهم كما تجاوزنا نحن حذق آبائنا فاننا عرفنا شيئاً وغابت عنا اشياء »

« الناس لايعتقدون بتوبة احد وهذا الحكم مصيب غالباً »

« لافرق إن كانت اكياسنا ملآنة او اثوابنا حقيرة فانما العمل هو الذي يزين » (لا شيء عظيم في الدنيا الا الانسان ولا شيء عظيم في الانسان الا العقل)

« الرجاء الصحيح سريع الجري يطير بجناحي الخطاف ويصير الملوك آلهة وما دونهم من الناس ملوكاً »

« اذا وثق الانسان بنفسه ثقة كاملة وكانت النفس كفؤاً فذلك من الاعمال العظيمة »

« الرجل يحب في شبابه من الطعام ما لا يطيقه في شيخوخته »

« ان نفس الكتاب الذي كتبت فيه خطاياي هو نفسي »

«يخسر الرجال شهرتهم اذا لم يراعوها على نحو ما تخسر الجواهر مجدها اذا أهملت »

« أعن الفقير واعضد المسكين وكلما تقدمت الحياة زد إقداماً واحساناً »

« اذا عبس الجو توعد بهياج قريب »

« الرجل الشريف مفطور على الصلاح والكرم والفضل والصفات الحسنة »

« لا يعلم المرء ماذا تأتي به كلمة السوء من تسميم الحب »

« الزهور الجميلة بطيئة الظهور والعشب البري سريع »

« ما الجمال الا خير باطل مشتبه وضياء لامع سريع الزوال وزهرة تذبل وتموت »

« أوصيك ان تطرح عنك حب الرياسة فقد سقط الملائكة بهذه الخطيئة »

« مادامت الامور مجهولة وجب ان نحسب حساباً لاعظم ما يمكن ان يصيبنا »

« عارٌ على من يضرب ويقتل لذنوب هو يحبها ويفعلها »

(لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيمُ)

« كثيراً ما يقنع صمت البراءة النقية حيث يخيب الكلام »

« أدع الله فانهُ السميع المجيب وهو أقرب اليك من حبل الوريد »

« الرجل الحكيم لا يجلس ويندب خسارته أبداً ولكنه يجدُّ بسرور في اصلاح ما ناله من الضرر »

« الضربات الكثيرة ولو بفاس صغيرة تقطع أعظم الاشجار وتطرحها الى الارض »

« ان نفس عيوننا كاحكامنا عمياء احياناً »

« قيمة العطايا برمتها تابعة لمقام المعطي »

« من موجبات السرور ان يعمل الانسان مايجب متى سار في طريق مظلمة »

« من الحكمة ان يعلم اشر الواقع »

« اذا كنت معنياً بحياتك فاطرد الغفلة عنك وكن حذراً متيقظاً »

« مهما كانت حالة الانسان حسنة إذا لم يكن راضياً فحياته صائرة الى غاية الشقاء »

(لكل شيء مدة وتنقضي ماغلب الايام الامن رضي)

« بادر الى مايتيسر من الوسائل ولا تهملها »

(ولا أوفر شغل اليوم عن كسل الى غدٍ ان يوم العاجزين غدُ)

« شر الرياح ما لا خير فيه لأحد » (مصائب قوم عند قوم فوائدُ)

بيروت يوحنا ورتبات

شبيبة عظيمين

ملخصة عن الانكليزية

كان غليوم الثاني (١) امبراطور المانيا في صباه كما هو الآن خطيباً مصقعاً ولسنا مفوهاً لاتسنح له فرصة كلام الا وتجد لسانه في النطق يسابق الكهرباء في السريان ولم يتخذ لمران قوة بيانه وفصاحة لسانه الا أعقد المسائل السياسية وأهمها فلم يسمع منه في شبيبته سوى قراع الكتائب

---

(١) «المقتبس» من الاتفاق الغريب أن الامبراطور غليوم الثاني ولد سنة ١٨٥٩ وولد المستر روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة سنة ١٨٥٨ كما ولد نابليون بونابرت وولنكتون ومحمد علي في سنة واحدة . فالرئيسان غريبان في امرهما وتربيتهما

والسيف والمدفع وطبل الحرب وميدان الوغى . زادت حميته وقويت حجته وشكيمته في عهد أبيه المسكين الذي قضى أيام ملكه على فراش المرض وبين أيدى الطبيب والجراح ولقد نسي الابن أذ ذاك أباه ولم تأخذه عاطفة من عواطف حب الابن والده وتغلبت عليه شهوة الملك فكنت تراه في خلال مرض أبيه - وكان يقضي عليه أن يختفي عن الانظار ويلازم فراشه في ساعاته الاخيرة ليخفف آلامه قبل ان يتجرع حمامه - لا يبالي ثياب الحرب ممتطياً صهوة جواده يطوف الطرق وينتقل من بلد الى آخر ويخطب القوم حتى قال فيه بعض كبار الساسة على ذاك العهد ان هذا الامير كبعض الممثلين له شغف باللباس والكلام ولو كان من أبناء فرنسا لعذرناه على الطيش والحمق

ومن حسن حظ المانيا ان قيصرها لم يكن رجل قول بل كان الفعل أقرب الى قلبه والعمل أسهل لديه من تحريك اللسان فلما تولى الملك استبدل الفتيان بالصبيان بالشيوخ والكهول فجدد بذلك حياة الامبراطورية وقيد اسمها في سجل الدول الكبرى التي يدير دفتها الشباب وتدبر أمورها الفتوة فكأنه قد من حديد أو صيغ من فولاذ لا يستقر على حال يتجول في الارض فكأنه ملك من ملوك القرون الوسطى تقمصت نفسه في نفس غليوم

أشتهر عن غليوم بانه من رجال العمل ولكن شتان بين عمله وعمل غيره من الملوك وحسبنا على صدق هذا القول ما تكتبه الصحف عنه كقولها « غليوم السائح » و« غليوم الخطيب » و« غليوم ينادي بأنه ملك ملوك الارض » و« غليوم يؤنب أشراف مملكته ويتندح جندها » و « أميراطور المانيا يغير ثياب الجند وملابس رجال البلاط » و « القيصر غليوم يطرد بسمارك ويتفرد بالملك والسياسة » و« امبراطور المانيا يضرب الارض باعدائه »

«امبراطور المانيا الشاعر المصور المستعمر»

وقد يعجز القلم عن ذكر ما للامبراطور من الصفات الكريمة والسجايا الفاضلة التي تميز الملوك عن غيرهم ومن تلك الصفات شجاعة الامبراطور وأمانته واصلاحه ويحكى عنه في صباه ان معلما أراد ان يتقرب اليه في شبابه ليقربه الامير أيام ملكه فدنا منه وأسر اليه بأن الفحص سيكون في باب كذا من كتاب كذا . هذا ليجد الامير الصغير في التحصيل ويفوز على اقرانه في حلبة الامتحان ولكن شجاعة غليوم واخلاصه عكستا آمال المعلم المتملق فان الفتى صبر حتى جاء وقت الامتحان وتقدم بقدم ثابتة وجأش ساكن الى لوحة الكتابة وكتب عليها يكون الامتحان في كذا كما أسر اليّ المعلم .

وكان روزفلت رئيس الولايات المتحدة في شبابه يحتقر أكثر المشتغلين معه في السياسة لعلمه بأنهم ثرثارون لا يؤثر عنهم عمل يذكروهم فئة تقول ما لا تفعل وتخاف التصريح بآرائها وأفكارها ولقد كتب في صباه كثيراً وكان أغلب ما كتبه في المسائل السياسية والحربية التي عرضت له في حياته وله بعض الكتب في التاريخ وفنون الصيد والرياضة البدنية وغيرها يصف فيها الحياة في غرب أميركا

وكتب زهاء عشرين كتاباً في أقل من عشرين سنة . وقد ظهر أول كتاب من قلمه سنة ١٨٨٢ ثم كمنت قوته الادبية ست سنوات وأخرج بعدها في سنة ١٨٨٨ رسالة كبيرة مزج فيها العلم بالسياسة وحلل فيها نظام الحكومة الجمهورية تحليلا دقيقاً وباح بآراء مهمة جعلت له مركزاً ساميا بين اقرانه سيما وقد أفرغ في تلك الرسالة كل ما مر عليه من تجارب في ثماني

سنين قضاها في وظائف الحكومة السامية ومن كتبه كتاب سير الابطال وحياة الفكر والعمل وحياة اوليفر كرومويل وتاريخ نيويورك وقد جمعت وطبعت كلها في خمسة عشر مجلداً وله غير هذه الكتب مقالات كثيرة نشرت في المجلات الانكليزية والاميركية

وقد صرح روزفلت بجميع أفكاره الحرة في كتاب كبير اسمه منتهى الكمال ضمنه ماستطاع من الآراء السياسية والاجتماعية وحل فيه كثيراً من المشكلات التي عرضت له في صباه وقد أظهر روزفلت بهذا الكتاب للملاء انه هو الرجل اوحيد الذي يمكن لامة كبيرة قوية ان تضع ثقتها فيه . ومن آرائه في هذا الكتاب انه ليس المجرم الحقيقي هو الذي يسلب ويقتل ويكون هدفاً لسهام العقاب والقصاص انما المجرم الحقيقي هو السياسي أوالصحافي الكبير الذي يثق به الناس وهو غادر منافق يسعى لمنفعته الخاصة والمجرم الحقيقي هو الغني الكبير الذي يلعب بالعدل ويعبث بالقانون ليموت ويترك بعده القناطير المقنطرة من الذهب للورثة الفاسدين . ان المجرمين الحقيقيين هم أرباب المال الذين يظلمون العمال الفقراء حقوقهم ويشربون دماءهم ويبذلون كل مرتخص وغال في سبيل الذهب ويسيرون الى الامام ولو فوق الجثث البشرية . وهاك شذرة من قلم الرئيس روزفلت يصف بها أرباب الملايين في أميركا قال: ليس في العالم أقبح خلقاً وإغراقاً في الدناءة وقلة الشرف من أرباب الملايين الذين ليس لهم عمل ولا غرض في الحياة يسعون اليه سوى جمع المال وحبسه عن المحتاجين والفقراء . ومن الاسف انهم يجمعون تلك الاموال الطائلة ويحرزون ألوف الالوف من الذهب ليستعملوها في أغراض وغايات دنيئة فان أحدهم يلعب بالاسهم المالية والشركات ويملك في يده

زمام المضاربات فيفقر قوماً ويغني آخرين لمحض لذته وسروره أو يهب ابنه الجاهل مقداراً عظيما من المال فيعيش الولد عيشة الكسل والخمول والفساد والفجور ويندفع في طلب الملاذ السافلة ويجري وراء شهواته الدنيئة أو يشتري لابنته زوجا شريفا فقيراً يلقب (بلورد) أو (دوق) لتكون (لادى) أو (دوقة) وفي بعض الاحيان يؤسس مدرسة أو يجري رزقاً على كنيسة فينسى الناس ذنوبه الكبيرة بتلك الحسنة الصغيرة ويغضون الطرف عن عيوبه ويغفرون له خطاياه ويحسبون ان هذا العمل الحقير الخيري الذي تم على يده يبرر أعماله السابقة واللاحقة بأسرها. هذا الرجل هو الذي لا يحفل بالعمال الذين يموتون من أجله ويقتلون أنفسهم في معامله ومناجمه وهو يسلب حقوقهم ويهددهم بالطرد اذا شكوا اليه بثهم وهمهم وكلما أمكنه نقص من من أجورهم وزاد ساعات عملهم واذا سألته الحكومة في ذلك هزأ بها وسخر منها ومن دستورها وقوانينها . هذا الرجل خطر دائم على الحكومة والامة لانه يرى بعينه الفساد ولا يمد يده للاصلاح ويسمع باذنه أخبار الرشوة المنتشرة بين الحكام والقضاة ولا يحرك لسانه بكلمة تعود بالنفع على وطنه الذي ينتمي اليه والجمهورية التي تحميه بل يجلس ويضحك كأنه من الدنيا في ملعب ولا يحس بأنه فرد من هيئة حية نامية تسأله عن الواجب الذي عليه نحوها قبل نفسه هذا هو المثري الاميركي الذي يحترمه الناس ويبجلونه ويشيرون اليه بأطراف البنان ويثنون عليه قائلين انه من أرباب المال والاعمال

وانك لترى في أميركا غير تلك العجول الذهبية وهم أكثر عدداً ولكنهم أقل خطراً وأعني بهم أصحاب الافكار المادية المحضة الذين لا يمدون يدهم الى عمل الا اذا علموا انهم ينالون منه كسبا ولا يستحسنون شيئا الا اذا

عرفوا انه مال ومن المال والى المال . ولا يعرفون ان مصراً واحداً يفيد الامة بعرائس أفكاره أكثر الفائدة من صاحب أكبر معمل لسبك الفولاذ في الولايات المتحدة ولا يعرفون انه مهما زادت التجارة وكثرت الارزاق وقلت الواردات عن الصادرات لا تعوقنا تلك الامور شيئاً عن الفضيلة الضائعة ولا يمكننا بها ان نحل المسائل الاجتماعية الماثلة التي تشغل الآن جميع الامم المتمدنة ويقولون بأن التجارة والاملاك اقدس جانبا وأغلى ثمنا من الحياة والشرف والمجد بما لا يقدر على ان هؤلاء معذورون لانهم لا يحسون بعاطفة كبيرة ولا ينبض في جسمهم العرق الذي ينبض في أجسام أهل الفضل اه القاهرة محمد لطفي جمعة

تحية حبيب

حي بلاد الشمال خلاق تلك المناظر
يامي اين العهود هلا ولاك يعود قد طال منك الصدود
إني أسير الغرام صريع لطف الحرائر
بالله رقي لضعفي ياخير محبوب واشفي سقام مضنى بطرف
يخاف وقع النبال ممن تفوق الجآذر
ان جال يوماً بفكرك خيال مضنى بذكرك إسقيه من سلسبيل
نفسي أتت في خيالي زارت وعقلك فاكر
ان كنت تمشين صبحاً بالروض والزهر أوحى اليك معنى ونفحا
فذا شعوري وحالي بدا بزي الازاهر
كم بت أبكي لبعدي وما البكاء ليجدي وكلما هاج وجدي

من لطف أهل الدلال خشيت فضح السرائر
كنا وكان اللقاء والشام فيها الدواء حتى دهانا القضاء
أيام صفو الليالي بالبين والكل ناكر
لكن بعد الحبائب يهيج ما في الترائب فالقلب يغدو يخاطب
قلب المحب الموالي على ربوع الخواطر
رودي مهب الجنوب فيه سلام الحبيب ولن يخف نحيبي
حتى أرى للوصال من الشمال البشائر

بيروت عبد الرحمن شهبندر

عود الشباب

كانت العقول في أوربا قبل انتشار العلوم والفنون بين خاصتها وعامتها أشبه بالعقول الآن في معظم البلاد العربية تستهويها الخرافات والخيالات، وتستغويها الاباطيل والترهات، فيتلقى المرء فكره عن أمه ومرضعته، أو عن خادمه وخادمته، أو عن محيطه وبيئته، وكلها عوامل جهل مركب، وأدوات إضلال وانحلال. ومن ذلك ما كان القوم يذهبون اليه من المذاهب في إطالة الاعمار ويتناولون من أجله الاشربة والمعاجين، ويعمدون الى اتخاذه من أساليب تنتهي بالموت لا بالحياة. ولا يزال فينا قسم عظيم من اهل التخريف، يعتقدون هذا الاعتقاد السخيف، ويعملون بوصفات وردت في بعض كتب الطب القديم التي ما كانت قط عند الثقات معمولا بها أو يذكرها العجائز والشيوخ وينقلونها خلفاً عن سلف

وقد بحث هذا الشهر أحد علماء الافرنج في أسرار الشبيبة فقال ما تعريبه:

تمسك الاجيال القديمة بالاساليب الغريبة لحفظ الشبيبة وكان المفكرون يسرفون من ذكائهم وأعمالهم شطراً كبيراً ارادة تمديد حدود الحياة البشرية . وما من حكيم إلا واهتدى الى مذاهب في هذا الباب . وقد حوى علم التنجيم والكيمياء والطب وما يتصرف عليها من أنواع هذه الادوية ألواناً وضروباً

نشر أحد أطباء الالمان في القرن الثامن عشر كتاباً رأى فيه ان خير مايبعد الهرم ويبقي على الشباب مااستعمله النبي داود في شيخوخته قائلا ان الجسم المثقل بالايام يستفيد من الاحتكاك بالجسم القريب العهد بالولادة أي الجسم الهرم البالي من الجسم الفتي الشديد . وقد عمد الى استعمال هذا الدواء كثير من أهل الحكمة والفلسفة ومنهم غالين في القديم وهو عالم التشريح اليوناني المنافض لابقراط في مبادئه الطبية وممن قال به في العهد الحديث روجر باكون الراهب العالم الانكليزي الكبير المتوفى سنة ١٢٩٤ . ذلك لانهم زعموا ان ريح الشباب تعدي الشيوخ والاجسام السليمة الجيدة التركيب ولا سيما الغضة الاهاب تزيد الشيوخ والضعفاء قوة لما ينبعث منهم من الروائح الطيبة والابخرة السليمة الشهية وولما فيهم من المزايا والقو

وعند ما بلغ داود على مافي الكتاب الاول من سفر الملوك السبعين من عمره اقترح عليه خدمته ان يتزوج فتاة فانتفع بذلك . وارتأى كثير من الاطباء ومنهم كوهزن ان نفس الفتاة من أنفع الامور للشيخ الهم قائلا ان نفس القوي يقوّي كما أن نفس المسلول يؤذي . وما على من شك في هذا إلا أن يذكر ان رائحة الزهور البلسمية تنعش منا الجسد وتحفنا بالصحة والبهجة . وتوسع كوهزن فذكر أمثلة كثيرة من رجال أوشكوا ان يقضوا نحبهم فأعيدوا الى الحياة بما نفخ فيهم حاشيتهم من روحهم .

وأورد بورلي الفسيولوجي الطلياني المتوفى سنة ١٦٧٩ وتاكيوس وغيرهم أسماء من أشرفوا على الموت وردت اليهم قواهم بما نفخ أصحابهم الصحاح الاجسام في أفواههم . وكذلك الشأن في استنشاق عرق الفتاة

قال كوهزن حدث ان فتى تزوج بعجوزة فعاد اليها شبابها ورجعت اليها قوتها وصحتها على حين كان زوجها يذبل كل يوم كالزهرة ويقترب من الشيخوخة فتراً وشيراً . وهكذا بلغ كورجياس دي ليونتيوم المئة والثماني سنين واناف ايزوكراتس الفيلسوف الاثيني على المئة سنة . دع عنك الفيلسوف زينون وتيوفراست وغيرهما ممن أعجب معاصروهم بقوتهم ونضرة وجوههم وقد نسب لويز كورناروِ الطبيب البندقي المشهور جودة صحته في شيخوخته الى بطانته بيدان الباحثين لم يهتدوا الى ضرر أنفاس الناس شباباً كان أصحابها أو شيباً الا بعد أن ثبت ذلك لطبيبين نطاسيين سنة ١٨٨٧ وأكدا أن الانفاس سم ناقع وان هناك طرقا ثانية لعود الصحة الذاهبة والنشاط الضائع

ولقد كان لاطباء اليهود والرومانيين كافة طرق خاصة لاطالة الاعمار وكانت أدويتهم في هذا الشأن تختلف باختلاف الزمان والمكان كأن يحتوي بعضها على دهن الاسد وجلد الحرباء ودم الاطفال والبالغين ولكن هذه الادوية لم يكن لها عمل في الاجسام غير القاء الحرارة فيها وبقي العمل بهذه الادوية الى القرن السابع عشر والثامن عشر أيام أخذ الطب والعلم يرتقيان وانقلب الطب ظاهراً لبطن ولم يعد يقبل النسبة بين ماضيه وحاضره

وهناك أنواع كثيرة من المقويات والمنشات واكسير الحياة الذي كان يستعمله القدماء كالاكسير الذي استعمله أحد أطباء الويدو وبلغ به المئة والسبع سنين من عمره فأعتقد بنفعه كثيرون . والوواس والاغراء

يتفعان في مثل هذه الاحوال ولطالما اعانا أصحابهما على مايريدون

نشر الكتاب في الغرب منذ تسعة قرون كتباً ورسائل في معنى إطالة الحياة وعددوا من انتفع بمقوياتهم ووصفاتهم من كبار الرجال ولم يعرف اليوم كيفية تحضير تلك المقويات وبقيت أخبار معظمها مجردة لامستند لها

ولقد مضى على تأصل هذه الاوهام عشرون قرناً ولا يزال الى يوم الناس هذا من يعتقد بأن العود الى الشباب ميسور وان لتلك الادوية أثراً في النفع وما برحت أندية العلم تشتغل وتبحث وكل سنة نسمع باختراع جديد لطول الحياة قد ينجع بعضها بعض الشيء وقد تكون فائدتها أقصر من عمر الكرام. وما ننس لاننس تجارب المجمع العلمي في لندن واللائحة التي تلاها الدكتور فبير واعمال الاستاذ متشنكوف التي نشرها مؤخرا وأعمال كثير من الفسيولوجيين والاطباء والبيولوجيين وكلها ترمي الى الغاء الشيخوخة من سجل الوجود . وقد نشر منذ حين أستاذان من شيكاغو بحثاً ادعيا فيه انهما يعيدان الشباب بالحقن بمصل عجلة ولم يثق الناس بأقوالهما

وهنا نتغلل الاسباب التي تنهك صحة الشباب وتشارع بالهرم الى الجسم ونقف على الذرائع التي تنتج النتائج السيئة فنقول : حاول كثير من علماء منافع الاعضاء ان يعينوا المقدار الضروري من الغذاء للانسان في أدوار حياته واختلفت مناحيهم في ذلك الا ان معظمهم في الغالب قد قدروا مايلزمة زيادة عن الحاجة . ومن رأي التواتير انه يكفي البالغ ان يتناول كل يوم ١٢٣ غراماً من الزلال (البومين) و١٢٥ من الدهن و٤٠٠ من الهدروكربون (المواد التي تولد الحرارة) . وقال رايك انه يكفيه ١٠٠ و١٠٠ و٢٤٠ . وقال مولشخوت ١٣٠ و٤٠٠ و٣٤٠ . وقال فوستر ١٦٣ و٤٩٤ . وقال

انه يكفيه ١٠٠ غرام من الزلال بمضافة الى ٦٥ من الدهن و ٤١٠ غرامات من الهدروكربون

واللحم يحتوي على ٢٠ في المئة من الزلال فيكفي الانسان أقل من رطل (مصري) من اللحم في اليوم لايجاد الزلال اللازم ولا ينبغي ان يستعمل مع اللحم شيء آخر من المغذيات كالبيض والجبن وغيرهما . وانت ترى فيما تقدم غلواً وإسرافاً . وفي الابحاث الاخيرة انه لايكفي الجسم ٤٠ غراماً من الزلال . وقال غيرهم من اكابر الاطباء المعاصرين ان ٥ الى ٧ غرامات من الازوت وهي توجد في ٣٠ الى ٤٥ غراماً من الزلال تحفظ قوام الصحة وتقوم بحاجة أقوى الاجسام وهذه الكمية تتيسر بتناول بعض الاغذية النباتية وقد جرب أحد الاطباء فتناول كمية من الازوت من ٦ الى ٧ فكان من ذلك أن تحسنت صحته كثيراً وشفي من داء المفاصل الذي كان أصيب به منذ سنين كما ثبت نفع ذلك لغيره من أصدقائه بالفعل . وخفف ثمانية من طلبة كلية يال الجامعة في أميركا طعامهم فانتهت بهم الحال ان اقتصروا على ٥٠ غراماً من الزلال وهم ممن اعتادوا الرياضة البدنية العنيفة مثل ركوب الخيل والبحر والصيد وغيرها فجادت صحتهم ايما جودة

وارتأى أحد المتطببين في باريز ان املاء المعدة بالطعام وهو مما عمت به البلوى بين الناس كلهم إجمالا لا ينتج الا الضرر فاختار لمن يطبهم الصيام عملا بالمأثور صوموا تصحوا . وقد جرب بنفسه فعل الامتناع عن الطعام مرات كثيرة فاسفر عن نجاح بين وثبت لمرضاه فائدة الاقلال من الطعام بل الامتناع عنه في الاحيان

وكذلك كان مذهب الدكتور بارنت في رأيه الذي عرضه على كلية مداواة الامراض الباريزية وأثبت خطأ زعماء الاطباء في كمية الغذاء المقتضي بزعمهم وقال بأن حواسنا تسمم بالاكثار من الغذاء ذلك الاكثار الذي يجلب لامحالة أمراضاً عضالة وأوصاباً كثيرة

ألا وان الافراط في تعاطي المشروبات والغذاء لسبب عدة أمراض يكون من نوعها سرعة الشيخوخة والهرم . ويا ما أشد هول الشره على الاجسام فهو خطيئة أصلية ينبغي تطهير الارض منها وقلما نفكر معاشر البشر فيه على ان الطبيعة تعاقبنا من أجله عقوبات شديدة وتكافئنا فيه نلا نرعوي . متى جاء اليوم الذي يقتنع فيه الناس ببلغة من العيش وسداد من عوز ويقتصرون من المطعام على ما ينفع ولا يثقل المعد بشر الصبية والشباب بالقوة

ولقد أبان كثير من نطس الاطباء في كلية باريز الطبية امثال هذه الملاحظات وأبان بعضهم الاضرار التي تنبعث من إكراه الاطفال على إطعامهم كثيراً . وحال الجسم في إثقاله بالاطعمة والزلال كحال آلة تجعل فيها كمية من الزيت تفيض عن حاجتها فانها تنتهي بالوقوف عن الجري على قانونها المعتاد وكذلك جسم الانسان اذا أفضت عليه ما لا يحتمله ويكفيه أقل منه

وبعد فقد أصيبت اليوم الطبقة النازلة من الناس بنقمة الاشربة الروحية بحيث تموت عشرهم منها كما أصيب أهل الطبقة العالية بالنهم والشره والاكثار من المواد الزلالية وكانتا الطبقتين الغنية والشقية تلتقيان في طريق الآلام والاوصاب ومهما يكن من الامر فان الحرمان من الطعام أقل ضرراً من

الافراط فيه والجوع خير من الشبع. واني لارى ان يكف المكثرون من الاطعمة عن تناول أكثر من اللازم ويتركوا الفائض عن حاجتهم لاولئك المعوزين المحاويج فيحفظون بذلك سلامتهم فينتفع بذلك الاغنياء والفقراء معاً. فان التكافل نافع على كل حال وقد أبان علم اطالة الاعمار فوائد الغيرية الاجتماعية وبعبارة ثانية الايثار على النفس وفائدة الاقلال والاعتدال والامتناع عن الاكثار والاقلاع عن المضار

من ملاهي الاندلسيين

ذكر الشقندي في رسالته تفضيل الاندلس على بر العدوة في آثارها وحضارتها وفيما خصت به كل بلد من المزايا الطبيعية والصناعية مما يشبه فرنسا لهذا العهد انه سمع ما في اشبيلية من اصناف ادوات الطرب كالخيال والكريج والعود والروطة والرباب والقانون والمؤنس والكثيرة والقنار والزلامي والشقرة والنورة وهما مزماران الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه والبوق وان كان جميع هذا موجوداً في غيرها من بلاد الاندلس فانه فيها اكثر واوجد قال وبابدة من اصناف الملاهي والرواقص المشهورات بحسن الانطباع والصنعة فانهن احذق خلق الله تعالى باللعب بالسيوف والدك واخراج القرى والمرابط والمتوجه .(كذا)

صحف منسية

شذرات حكمية

سئل أبو سليمان المنطقي لِمَ لم يصف التوحيد في الشريعة من شوائب الظنون وأمثلة الالفاظ كما صفا ذلك في الفلسفة فقال : انا لا نظن ان كل من كان في زمان الفلاسفة بلغ غاية أفاضلهم ، وعرف حقيقة أقوال متقدميهم، بل كان في القوم من رأى رأي العامة وحط الى ماحطت اليه ولم يبن منهم كثير شيء مع قدم الزمان ولقاء المحققين الفاضلين وهذا اذا حل لا يكون قادحاً فيما نصصناه من القول في حقائق التوحيد الذي ظفرا به خلصان الحكمة ، وفرسان الصناعة ، على أن الترجمة من لغة يونان الى العبرانية ومن العبرانية الى السريانية ومن السريانية الى العربية قد أخلت بخواص المعاني في أبدان الحقائق اخلالا لا يخفى على أحد ولو كانت معاني يونان تهجس في أنفس العرب مع بيانها الرائع، وتصرفها الواسع ، وافتنانها المعجز، وسعتها المشهورة، لكانت الحكمة تصل الينا صافية بلا شوب، وكاملة بلا نقص، ولو كنا نفقه عن الاوائل أغراضهم بلغتهم كان ذلك أيضاً نافعاً للغليل وناهجاً للسبيل ومبلغاً الى الحد المطلوب ولكن لابد في كل علم وعمل من بقايا لا يقدر الانسان عليها وخفايا لا يهتدي أحد من البشر اليها وذلك للعجز الموروث عن الهيولى، والضعف الثابت في الطينة الاولى ، وهذا لكي يكون الله تعالى ملاذاً للخلق ومعاذاً للعالم

قال أبو حيان لابي سليمان ماالفرق بين طريقة المتكلمين وبين طريقة الفلاسفة فقال ماهو ظاهر لكل ذي تمييز وعقل وفهم طريقتهم مؤسسة

على مكايل اللفظ باللفظ وموازنة الشيء بالشيء إما بشهادة من العقل مدخولة وإما بغير شهادة منه البتة والاعتماد على الجدل وعلى ما يسبق الى الحس أو يحكم به العيان أو على ما يسنح به الخاطر المركب من الحس والوهم والتخيل مع الالف والعادة والمنشأ وسائر الاعراض الذي يطول إحصاؤها ويشق الايان عليها وكل ذلك يتعلق بالمغالطة والتدافع واسكات الخصم بما اتفق واتمام القول الذي لا محصول فيه ولا مرجوع له مع بوادر لا تليق بالعلم ومع سوء أدب كثير نعم ومع قلة تأله ، وسوء ديانة ، وفساد دخلة ، ورفض الورع بتحمله ، والفلسفة أدام الله توفيقك محدودة بحدود ستة كلها تدلك على أنها بحث عن جميعها في العالم من ظهر للعين وباطن للعقل ومركب بينهما ومائل الى حد طرفيهما على ماهو عليه واستفادة اعتبار الحق من جملته وتفصيله ومسموعه ومرئيه وموجوده ومعدومه من غير هوى يمال به على العقل ولا الف تغتفر معه جناية التقليد مع أحكام العقل الاختياري وترتيب العقل الطبيعي وتحصيل مانده وانقلب من غيران يكون أوائل ذلك موجودة حساً وعياناً وكانت محققة عقلاً وبياناً ومع أخلاق الهيئة واختيارات علوية وسياسات عقلية ومع أشياء كثيرة يطول ذكرها وتعدادها ولا تبلغ أقصى مالها من حقها في شرفها

ثم قال وكان شيخنا يحيى بن عدي يقول اني لا عجب كثيراً من قول أصحابنا اذا ضمنا واياهم مجلس نحن المتكلمون ونحن أرباب الكلام والكلام لنا بنا كثر وانتشر ، وصح وظهر ، كأن سائر الناس لا يتكلمون أو ليسوا أهل الكلام لعلهم عند المتكلمين خرس وسكوت . أما يتكلم ياقوم الفقيه والنحوي والطبيب والمهندس والمنطقي والمنجم والطبيعي والالهي والخسيس

والصوفي قال وكان يلهج بهذا وكان يعلم أن القوم قد أحدثوا لانفسهم أصولا ، وجعلوا مايدعونه محمولا عليها ومسؤولا من عرفها وان كانت المغالطات تجري عليهم ومن جهتهم بقصدهم مرة وبغير قصدهم أخرى قال وكان يصل هذا كثيراً بقوله والدليل على ان النحو والشعر واللغة ليس يعلم انك لو لقيت في البادية شيخاً بدوياً فحا محرماً لم ير حضريا، ولا جاور أعجمياً ، ولم يفارق رعية الابل ، وانتياب المناهل ، وهو على قبح هيئته التي لايشق غباره فيها أحد منا وان كلف (كذا) فقلت له هل عندك علم لقال لا : هذا وهو يسير المثل ، ويقرض الشعر ،ويسجع السجع البديع ، ويأتي بمالو سمعه واحد من الحاضرة وعاه واتخذه أدباً ، ورواه وجعله حجة ، وكان يقول هذه الآداب والعلوم هي قشور الحكمة وما انتثر منها على فائت الزمان لان القياس المقصود في هذه المواضع والدليل المدعى في هذه الأبواب معها ظل يسير من البرهان المنطقي والرمز الالهي والاقناع الفلسفي.

قال أبو حيان رويت لابي سليمان كلاماً لبعض المتصوفة فلم يفكه ولم يهش عنده وقال لو قلت أنا في هذه الطريقة شيئاً لقلت : الحواس مهالك، والاوهام مسالك ، والعقول ممالك ، فمن خلص نفسه من المهالك ، قوي على المسالك ، ومن قوي على المسالك ، أشرف على الممالك ، شرفاً يوصله الملك ، قال أبو الخطاب الكاتب أيها الشيخ هذا والله أحسن من كل ما سمع منهم فلو زدتنا منه فقال : الحواس مضلة ، والاوهام مزلة،والعقل مدلة ، فمن اهتدى في الاول وثبت في الثاني أدرك في الثالث ومن أدرك في الثالث فقد أفلح ومن ضل في الاول وزل في الثاني خاف ومن خاف في الثالث فهو من الهمج واستزاده مظهر الكاتب البغدادي فاستعفى قال :

هذا حديث قوم أباعد منا على بعض المشاكهة . قلنا وما قلناه كاف فيما قصدنا فان استتب خفت العار، واستحليت الغار، (كذا) ولكل افق يقطفون منه ،ولولا هذه اللطائف التي هي شعلة النفوس الوافرة والناقصة ، لكانت الصدور تتقرح بأساً ، والعقول تتحير يأساً ، والارواح تزهق كمداً ، والاكباد تتفتت صمداً ، فسبحان من له القدرة وهذه الخليقة ، وهذه الاسرار في هذه الطريقة

مطبوعات ومخطوطات

المقابسات

في المؤلفين ناس رزقوا الحظ في مؤلفاتهم فانتشرت في حياتهم وبعد مماتهم انتشاراً وأي انتشار ومن هؤلاء الغزالي والماوردي وابن جرير وابن تيمية ومنهم من بقيت تواليفهم مستورة عن الاعين احياء وأمواتا ولم ينالوا الحظوة فيها كأن يكون من تلامذتهم أو أولادهم أو أصدقائهم من يحتفظ بما كتبوه وينشره في كل أفق على نحو ما فعل ابن الرومية ونشر في المشرق كتب ابن حزم ولولاه لما أبقى منها التعصب باقية . والغالب ان أبا حيان التوحيدي صاحب كتاب المقابسات هو من أهل الفئة الثانية اذ لم أر واحداً في العشرة من الخاصة من سمع باسمه دع عنك من قرأله رسالة أو فصلا مع انه من أمراء الانشاء وجهابذة الحكماء والعلماء

نشأ المؤلف في زمن خدمه السعد وحف بالبركة بفضل قوة الاستمرار وما كان في العصرين الزاهرين قبله من علية العلماء وجلتهم والعلم لا يذكو

الا بالامن والراحة ولا يغني غناءه الا اذا تسلسل في أجيال عدة حتى صار لهم ملكة راسخة وسنة متبعة . والتوحيدي علي بن محمد نسبة لنوع من التمر ببغداد يقال له التوحيد قال ابن قاضي شهبة وانما قيل له التوحيدي لان أباه كان يبيع التوحيد ببغداد وعليه حمل بعض من شرح ديوان المتنبي قوله

يترشفن من فمي رشفات هن فيه أحلى من التوحيد

قال ابن خلكان إن أبا حيان كان قد وضع كتاباً سماه مثالب الوزيرين ضمنه معايب أبي الفضل ابن العميد والصاحب بن عباد وتحامل عليهما وعدد نقائصهما وسلبهما ما اشتهر عنهما من الفضائل والافضال وبالغ في التعصب عليهما وما أنصفهما قال وكان أبو حيان فاضلا مصنفاً له من الكتب المشهورة الامتاع والمؤانسة في مجلدين وكتاب البصائر والذخائر وكتاب الصديق والصداقة . وتوفي أبو حيان على رأس الاربعمائة . وكلام المرء أحفل ترجمة تعرب عن صفاته ومناقبه .

ولابي حيان من الكتب كتاب المقابسات وهو صغير الجرم كبير الفائدة ذكر فيه وأكثره من محفوظه بعض ماوقع له من مفاوضات علماء عصره في بغداد وكانوا يجتمعون في دار أبي سليمان المنطقي وعنه أكثر مرويآته فيتذاكرون في موضوعات شتى في الفلسفة والادب . واكثرها على طريق السؤال والجواب لرجال جمعت بينهم كلمة العلم والحكمة وهذبت نفوسهم الآداب الحقيقية ولم يفرق بينهم اختلاف نحلهم ومذاهبهم . والعلم أعظم دين جامع بين عباد الله .

المقابسات اقتبسها أبو حيان من مساجلات إخوانه في الحكمة مثل أبي سليمان المنطقي وهو محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني وابي زكريا

الصيمري وأبي الفتح البوشنجاني وأبي محمد المقدسي المروضي وأبي بكر القومسي ويحيى بن عدي وعيسى بن نثيف الرومي وابن مقداد وابي القاسم الانطاكي وكان يعرف بالمجتبى وأبي محمد الاندلسي النحوي وأبي اسحق الصابي والخوارزمي الكاتب ووهب بن يعيش الرقي وابن سوار ومانى المجوسي وأبي الحسن محمد بن يوسف العامري وعبيد الكاتب والبديع وأبي اسحق النصيبي وأبي علي عيسى بن زرعة المنطقي ومظهر الكاتب وأبي الخطاب الكاتب وغيرهم « من كل من هو واحد في شأنه وفرد في صناعته »

والغالب أن مذهبهم في الفلسفة كان مذهب أرسطاطاليس شأن معظم المتأخرين من فلاسفة الاسلام كما قال الشهرستاني في الملل والنحل مثل يعقوب بن اسحق وحنين بن اسحق ويحيى النحوي وأبي الفرج المفسر وأبي سليمان السنجري وأبي سليمان محمد المقدسي وأبي بكر ثابت بن قرة وأبي تمام يوسف بن محمد النيسابوري وأبي زيد أحمد بن سهل البلخي وأبي محارب الحسين بن سهل بن محارب القمي وأحمد بن الطيب السرخسي وطاحة ابن محمد النسفي وابن حامد أحمد بن محمد الاسفزاري وعيسى بن علي الوزير وأبي علي أحمد بن مسكويه وأبي زكريا يحيى بن عدي الصيمري وأبي الحسن العامري وأبي نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي وغيرهم وانما علامة القوم أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا قد سلكوا كلهم طريقة ارسطاطاليس في جميع ماذهب اليه وانفرد به سوى كلمات يسيرة ربما رأوا فيها رأي أفلاطن والمتقدمين

وقد عرق أهل الهند فائدة هذا الكتاب فطبعوه فيما أعلم مرتين والغالب أن النسخة الاصلية يغلب التحريف عليها كثيراً حتى يكاد المعنى

لا يفهم . وقد نقلنا منه شذرات في باب الصحف المنسية . وفي الكتاب دليل على حرية ذاك العصر وانطلاق الافكار فيه ولطالما كان العلماء الذين أخذ عنهم أبو حيان يقولون في مجالسهم عند احتكاك الافكار وظهور بوارق الحق : « ياحسرة الطبيب والمهندس والمنجم والموسيقار والمنطقي والكلاني وجميع أصحاب النظر والقياس » على أنهم ما عرفوا التشنيع على علم لا يعلمونه بل كانوا يجلون أقدار أصحاب الصناعات والافكار على اختلاف طبقاتهم وجمعية أصحاب المقابسات كانت من الجمعيات المرتقية في الاسلام وكان لها أمثال وكل أفرادها من أهل الاخصاء . وللمؤلف كتاب اسمه الاشارات الآلهية في التصوف أطلعت على الجزء الاول منه في خزانة الكتب الظاهرية بدمشق

طبقات الشافعية الكبرى

شرع حضرة الشريف مولاي احمد القادري المغربي بطبع هذا الكتاب بمصر لمؤلفه تاج الدين ابي نصر عبد الوهاب ابن تقي الدين السبكي وهو في ستة مجلدات جاء الاول منه في ثلثمائة صحيفة وليس هو مقصوراً على تراجم رجال المذهب بل هو كما قال مؤلفه كتاب حديث وفقه وتاريخ وأدب . وقد قسم حفاظ الشريعة لعهده الى عشرين طبقة وترجم اصحابها على طريقة الفقهاء لا طريقة المؤرخين . واستفدنا منه أن أول من صنف في الطبقات أبو حفص عمر بن علي المطوعي المحدث الاديب صنف لأبي الطيب سهل الصعلوكي كتاباً سماه المذهب في ذكر شيوخ المذهب ثم القاضي أبي الطيب الطبري وأبي عاصم البغدادي وابي اسحاق الشيرازي وأبي محمد الجرجاني وأبي محمد عبد الوهاب الشيرازي وأبي حسن البيهقي المعروف بفندق وأبي النجيب السهروردي وابن الصلاح وأبي زكريا النووي والحافظ المزي وعماد الدين بن باطيش . وقد جعله الطابع بالاشتراك فيجعل من يدفع الاشتراك دفعة واحدة خمسين قرشاً ومن يدفعه بعد تمام الطبع ثمانين مع أجرة البريد . يخابر بذلك محل الحاج محمد ساسي بالقاهرة . وسنتكلم على هذا الكتاب بعد مطولا . فنشكر المطابع عنايته ونرجو له حسن التوفيق الى انجازه

آراء المدنية الفاضلة

اهدانا الاديب الفاضل الشيخ مصطفى القباني نسخة من هذا الكتاب تأليف المعلم الثاني ابي نصر الفارابي من فلاسفة الاسلام وقد قدم له ترجمة لطيفة للمؤلف . والكتاب على أسلوب متدين عاقل ومما طربنا له القول في خصال رئيس المدينة الفاضلة ومضادات المدينة الفاضلة وآراء أهل المدن الجاهلة والضالة . وهذا الكتاب مما يقرأوه المطالع ويعيد مطالعته لجمعه بين الفائدة واللذة وجودة تنسيقه وتأليفه . فنثني على ناشره أجمل ثناء وهو يباع في محله بخان الخليلي بمصر

البيان

وقانا العدد الاول من السنة الخامسة لهذه المجلة النافعة وهي تصدر بالعربية والاوردية في مدينة لكنأو من بلاد الهند لمنشئها الفاضل المولى عبد الله العمادي وتحت ادارة الفاضل الشيخ عبد العلي المدراسي وقد اخذت تصدر مرتين في الشهر بعد ان كانت تصدر مرة ساعية في تهذيب حال الامة الاسلامية في عوائدها واخلاقها متوخية اظهار الحقائق العلمية وابداء الآراء الحكمية والالمام بسيرة رجل عظيم اثر بعض الاثر في المجتمع الانساني وانديةِ العلم وحلقات الادب وقيمة اشتراكها ٥ شلناً خارج بلاد الهند فنرجو لها الاقبال الذي تستحقه ويستحقه منشئها الاديب

تدبير الصحة

أوان المسكرات

نشر الدكتور شارل دانا استاذ النيرولوجيا في كلية كورنل من ايتاكا في أميركا نتيجة أبحاثه في المشروبات الروحية فثبت لديه من حوادث كثيرة أن ادمان المسكرات يبتدئ قبل سن العشرين وان قليلا من الناس يتعاطونها بعد سن الاربعين . ومن رأيه اذا أرادت الحكومات ان تفلح في مقاومة المسكرات أن تحظر بيع الكحول الى كل ولد أو شاب قاصر بعقوبات شديدة تجري أحكامها على من يخالف ذلك من المتجرين بها وهذه انجع واسهل لان قليلا عدد من اعتادوا هذه العادة السيئة في ادمان الخمور . قال ان جمعيات الامتناع عن المسكرات في انكلترا وخصوصاً في

ايرلاندا تمنح جوائز من المال لمن يمتنعون كل الامتناع عن تناول الالكحول الى الخامسة والعشرين من سنهم وهذه الطريقة جيدة لان كثيراً من الشبان لاينقضون يميناً أقسموه في هذا المعنى خيفة أن لايقبضوا ما وعدوا به من الدراهم ولو جربت بعض البلاد التي تضعف في أبنائها ارادة النفوس على قانون تضعه في عقاب بائعي المسكرات من تغريتهم وحبسهم مثلا لآتى ذلك بفوائد جمة . ويظن هذا العالم ان هذه الطريقة تؤثر في سير المسكرات تأثيراً محسوساً في بضع سنين بمعنى أنها لا تزيل أثرها بل تقلل من عدد من يتعاطونها ويقلل سواد من تضبر بهم . وقد عمدت انكلترا الى اتخاذ مثل هذا التدبير ولكن المسكرات ما برحت في بلادها تخرب الاجسام وتزيد الاسقام . وقد جاء في احصاء أخير ان عدد الممتنعين عن المسكرات في انكلترا ثلاثة ملايين وعدد الأولاد ممن سنهم دون الخامسة عشرة أربعة عشر مليوناً فبذلك كان عدد من يتعاطون المسكرات في انكلترا أربعة وعشرين مليوناً يصرف كل منهم في السنة ماقيمته ١٢٥ فرنكاً من المشروبات الروحية . ويقدرون ان كثيراً من أسرات العملة في انكلترا تنفق سدس مالها على المسكرات وأن ماينفق على المسكرات في انكلترا كل سنة يعادل ما أنفقته حكومتها على حرب البوير . هكذا يبحث علماء أمم لا حظر في أديانها على المشروبات الروحية فما هو حال شعوب أصبحت تعاطاها من غير حرج ولا نكير من دون ما حاجة اليها الا تقليد الغربيين على أن ديانتهم تحظرها وعاداتهم تنكرها وأصقاعهم لا تحتملها .

السياحة والصحة

كان البشر منذ عرف التاريخ يسيحون في الارض الا أن سياحاتهم الاولى كانت للغارة والفتح فلما ارتقوا قليلا في سلم التمدن صارت السياحات للعلم والاتجار ولما أوغلوا في المدنية صارت اكثر الرحلات لحفظ الصحة . ومنذ تسلط الانسان على المملكة الحيوانية بعد ان كان في عهده لاول يألف البحيرات ويسكن المغاور ولغابات مارال معروفا بميله الى الرحلة ونزوعه الى التنقل فطرة فيه يتنقل كما تتنقل بعض الحيوانات والطيور ثم تعود ادراجها الى كهوفها واوكارها محافظة على طريقها الاول . ولم تكن السياحة في هذا القطر مثلا ضرورية لابنائه ونزلائه قبل ثلاثين سنة كما هي اليوم وقد زادت مرافق الحياة واتخذت اسباب تحسين الهواء واقيمت المعالم النافعة لان مشاغل الحياة ومناهب المجتمع كانت اقل من الآن واطعمة تلك الايام واشربتها كانت الى البساطة اقرب وطرق العيش كانت الى السلامة . فالعيش اليوم في مصر اشبه بالعيش في لندن

وبارز مع أن الطريقة القديمة كانت ملائمة لهواء البلاد اكثر . وشتان بين طبيعة غربي أوربا وشرقي افريقية .

وقد ارتأى احد أطباء الافرنج في هذه العاصمة ان خير طريقة يلجأ اليها من لايستطيعون مغادرة هذه البلاد في الصيف ان لايفرطوا في شيء أصلا ويعيشوا هادئين ويخففوا من العمل ومن الطعام فيتناول المرء في الصباح والمساء طعاما لطيفاً ولا يأكل عند الظهر ماتتعب المعدة بهضمه بل يتناول قدحا من الشاي وشيئاً مما يقال له التلمق (عصرونية) وان يعتدل جداً في تناول الاشربة الروحية أو يمتنع عنها كل الامتناع وهو الاسلم ويستحم في النهار والليل بالماء البارد مرتين أو ثلاثاً ولا سيما في منتصف الليل ليستريح الجسم من وعثاء التعب وبرحاء القيظ والحر . قال والسياحة ضرورية لمن لم يولد في هذه البلاد وربما يكون من أبناء أبنائه من يألفون اقليم البلاد أما المصري فان السياحة تكسبه صحة وتجعل فيه قوة ومضاء وتفيده من حيث الاطلاع على معالم الحضارة وآثار العلم والتهذيب

طول الاعمار

شغل هذا الموضوع بال الباحثين من العلماء ومن رأي احد حذاق الاطباء العارفين بعلم الحياة أن العمر يطول مدة تبلغ ست أو سبع مرات من المدة التي يقضيها الحيوان ليستكمل نموه ويبلغ اشده فالقط ينمو في ١٨ شهراً ولذلك كان معدل حياته من ١٠ الى ١٢ سنة والكلب يكبر في سنتين فيعيش من ١٢ الى ١٤ سنة والخيل تنمو في خمس سنين فمعدل حياتها من ١٥ الى ٣٠ سنة فنتج من ذلك ان الانسان لما كان ينمو في عشرين سنة فمعدل عمره من ١٢٠ الى ١٤٠ سنة وقد أورد على ذلك برهاناً أن هنري جانكين الانكليزي عاش ١٦٩ سنة وأنه مات في بلاد المجر في العهد الاخير بطرس سكورتان وعمره ١٨٥ سنة وانه كان في مستشفى بروسيا رجل بلغ المائتي سنة وبيده جواز أعطيه سنة ١٧٦٣ وكان في سن الستين وهوايم منذ ١٢٣ سنة ومات ابنه سنة ١٨٢٤ في التسعين من عمره . وقد ارتأى ان اللبن والملح والخبز الجيد والاقلاع عن المشروبات الروحية اعظم باعث على طول الاعمار

سير العلم

خطوط الناس

في الغرب فريق كبير يقولون بتمرئة الرجال من النظر الى خطوطهم ويدعى هذا العلم بالغرافولوجيا فيدعون ان خط المرء صورة منعكسة عن روحه كما ان كتابته تشعر بصفاته . وقد ارتأى احد الاطباء مؤخراً ان هذا العلم ينفع في تشخيص الامراض فلا يسأل الطبيب مريضه عن حاله وما اتاه من الاعمال ويسمع من فيه ماتاقيه عليه المخيلة أو توحي اليه به السوداء بل يتقدم الى مريضه ويستكتبه اسطراً يتعرف بها لاول وهلة حالة صحته فاذا كانت حروفه مائلة بعض الميل ثابتة الأواخر دلت على ظرف صاحبها واذا كانت على العكس من ذلك رخوة لا اشباع فيها دلت على قلة احساسه وهكذا جعل لكل خط صورة تنبئ عن كاتبه وربما يعرف بها مزاجه وكرازة يديه وبسطها في دفع أجرة الطبيب . قالت الصحيفة التي ننقل عنها ولا شك ان اشياع هذا المذهب يتكاثرون بعد

سبر الاغوار

هي آلة اخترعها مخترع نروجي وسماها (بانيمنز) يتأتى بواسطتها سبر غور البحار بالضبط وهي كما جاء في احدي المجلات العلمية مصنوعة على مبدأ رجوع الامواج الداوية التي تعود اذا انبعثت الى النقطة التي خرجت منها بعد ان تلطم اسفل الخيط وبعبارة ثانية هذه الآلة قائمة على مبدأ الصدى وهي كناية عن آلة ناقلة وآخذة ومقيدة .

ضباب البحار

اخترع احد الالمان آلة يهتدي بها ربان السفينة في الضباب الكثيف الى السفينة القريبة منه ويعرف المسافه التي بقي عليه ان يجتازها ليكون منها قاب قوسين او ادنى وذلك فيما اذا حال الضباب فلم تنتبه تلك السفينة الى رفع الاشارة البحرية المتعارفة اليوم وبذلك لا تصطدم باخرة مع اخرى

عشرون سنة على اميركا

زار احد اعضاء دار الندوة الانكليزية بلاد الولايات المتحدة سنة ١٨٨٠ وعاد لزيارها هذه السنة فدهش من ارتقاء تلك البلاد بماديتها في العشرين سنة الاخيرة قال ويظهر ان كل طبقة من طبقات المجتمع هناك اغنى من الطبقة التي تقابلها في أوربا . ومما وقع في نفسه موقع الاستغراب ارتقاء التعليم العالي اذ ترى اليوم في تلك البلاد من ١٥ الى ٢٠ كلية جامعة تجاري اشهر كليات أوربا وكل سنة يتضاعف عدد طلبتها ففي كلية يال من التلامذة مايربو عددهم على طلبة كلية اكسفورد الانكليزية وفي خمس كليات في شرقي اميركا من الطلبة ما يزيد على عدد طلاب الكليات في انكلترا بأسرها . قال ان الذوق العام والشعور الادبي قد بلغا عند الاميركان اليوم مبلغ الكمال وعيش الطبقة العالية منهم خير من عيش الطبقة التي تقابلها في انكلترا واحسن سبيلا وقد بقي في اميركا الآن ثلاثة امور لم يدخلها قلب ولا ابد ال ألا وهي الحياة السياسية والادارات البلدية ومسألة العبيد وهذه المسألة لا تزال على ما كانت عليه منذ عشرين سنة .

الانتقاد الادبي

رأى احد علماء فرنسا ان يجعل للنقد طريقة تجمع من طريقته المتبعة الآن وذلك بأن لا ينقد الا الكتب أو الروايات التي وافقت على استحسانها جمعية مطالعة مؤلفة من طبقة عالية من الصحافيين والمؤلفين ويرى ان هذه الطريقة مما يزيد به انتشار الكتاب ويبعث القراء والمبتاعين على مطالعته وابتياعه .

مقالات المجلات

طبقات الناس

في مجلة افرنسية بحث في أنه من المتعذر علمياً جعل الناس في طبقة واحدة من المسئولية وعدمها وانه ليس من العدل تقسيمهم الى طبقتين غير مسئولة وهي المجانين ومسئولة وهي العقلاء بل ينبغي تقسيمهم الى ثلاث العقلاء المسئولون والمجانين غير المسئولين ونصف المجانين نصف مسئولين .

التعليم في يابان

تناولت المجلات العلمية ماهو موضوع البحث بين المجلات اليابانية اليوم من انشاء مدارس جديدة وقد اختلفت آراء اليابانيين في طريقة التعليم فبعضهم يريدون ان تتعدد الدروس والفنون في المدارس وبعضهم يودون الاقلال منها لئلا تشغلهم النظريات عن العمليات . ورأى بعضهم أن التعليم على ما هو عليه عندهم الآن في منظم المدارس ناقص الجهاز عقيم الاسلوب اذ أن التلامذة يتعلمون اللغات الاجنبية ولا يتقنونها ولا يكتبون فيها ولا يقرأون فيجيدون وقد حسدوا أهل الغرب على انهم يكثرون من مواد التعليم في مدارسهم الابتدائية والوسطى والعالية ليعدوا عقول التلامذة للاكتشاف والاختراع .

مناجاة الارواح

المقتطف — ان انخداع الناس بما يرونه ويسمعونه أكثر مما يظن لاول وهلة فقد اتفق مراراً ان شاهدنا بعض المدعين مناجاة الارواح نحن وجماعة من الادباء فخيل لهم انهم رأوا وسمعوا مالم نره نحن ولا سمعناه وزاد الفرق بيننا وبينهم حينما تكلم كل منا عما رآه وسمعه فان الوهم صور لهم الامور على غير حقيقتها حتى صرنا نرتاب في كل ما نسمعه من غرائب التنويم ومناجاة الارواح . فان كانت روح الميت تبقى في هذه الدنيا حول الاحياء تناجيهم وتؤثر فيهم وتسمع كلامهم وتجيب طلبهم فعلى م لا تفضل أهم شيء يزول به الاشكال وهو ان تقول الاحياء انا روح العالم فلان جئتكم لأثبت لكم ما كنت انكره . ان اشهر من ادعوا مناجاة الارواح اعترفوا اخيراً انهم كانوا يستعملون الحيل لخداع الناس . ان الارواح التي يزعم مستحضروها انها ارواح الموتى لا تفعل الا اسخف الاعمال واحقرها فلا تكشف سراً في كشفه فائدة لاحد ولا تنبئ بامر من الانباء به نفع ما مع أن مستحضريها يدعون انها تفعل ما هو اقرب من ذلك ومن يصدقون بمناجاة الارواح ويمارسون ذلك تضعف قواهم العصبية رويداً رويداً ويتهي أمرهم الى الجنون ومن كانت أعصابه كذلك لا يركن الى احكامه وتصوراته . ثم ان مدعي استحضار الارواح مشعوذون كلهم ماهرون في تحويل انتباه الذين امامهم عن الامور الجوهرية في حيلهم أي مالا علاقة له بها . والمكان والزمان لا يسلحان للبحث والتنقيب فيتعذر على الرائي ان يكتشف الحيل لا سيما وهو غير معتاد على ذلك

الطوتمية

الهلال — الطوتم لفظ دخل اللغات الافرنجية في أواخر القرن الثامن عشر من لغة

أوجيبي من هنود اميركا ويراد به كائنات تحترمها بعض القبائل المتوحشة ويعتقد كل فرد من افراد القبيلة بعلاقة نسب بينه وبين واحد منها يسميه طوتمه وقد يكون الطوتم حيواناً أو نباتاً او غير ذلك وهو يحمي صاحبه وصاحبه يحترمه ويقدسه او يعبده واذا كان حيواناً لايقدم على قتله او نباتاً فلا يقطعه او يأكله وتختلف الطوتمية عن عبادة الحيوانات والنباتات الشائعة عند بعض تلك القبائل المعبر عنها بالديانة الفتشيه أن هذه عبادة صنم بصورة حيوان وتلك تقديس نوع من انواع الحيوان او النبات او عبادته . والطوتمية الآن منتشرة في العالم المتوحش فهي عامة بين قبائل اوستراليا وكثيرة الانتشار في شمالي اميركا وفي بناما . والطوتم الشائع هناك البيغاء ولا تخلو اميركا الجنوبية من آثار الطوتمية على حدود كولمبيا وفنزويلا وفي جيانا وبيرو . وللطوتمية شأن كبير في افريقية فانها شائعة في سينغمبيا وبين قبائل البقالي على خط الاستواء وعلى شاطئ الذهب والاشانتي وبين الداهارية والبكوانية في جنوبي افريقية وفي اماكن كثيرة من تلك القارة المظلمة ولها آثار في مدغسكر وبعض جزر ملقا اما في آسيا فلها أثر في اواسط الهند بين بعض قبائل البنغال غير الآريين وفي سيبريا وبعض جهات الصين وجزائر المحيط

لا جديد تحت الشمس

مما رواه صاحب نفح الطيب من ذكاء أهل الاندلس في استخراج العلوم واستنباطها أن أبا القاسم عباس بن فرناس حكيم الاندلس هو أول من استنبط بالاندلس صناعة الزجاج من الحجارة وأول من فك بها كتاب العروض للخليل واول من فك الموسيقى وصنع الآلة المعروفة بالمثقال ليعرف الاوقات على غير رسم ومثال واحتال في تطيير جثمانه وكسا نفسه الريش ومد له جناحين وطار في الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتيال في وقوعه فتأذى في مؤخره ولم يدر أن الطائر انما يقع على زمكه ولم يعمل له ذنبا وفيه قال مؤمن بن سعيد الشاعر من أبيات

يُعلم على العنقاء في طيرانها اذا ما كسا جثمانه ريح قشعم

وصنع في بيته هيئة السماء وخيل للناظر فيها النجوم والغيوم والبروق والرعود